**رأيت حلمـــا**

أجدني وحيدة، حبيسة جدران أربعة، ووقفا على رجل ما يغادر طاولته المنصوبة ليل نهار ليستقبل أفواجا متلاحقة عبر الزّمن، من كبراء المفاوضين.

عزيزي القارئ،

لأعيدك إليّ، لأعيدك إليك، وأعيدك إلى ضمير يصرخ في أعماق أعماقك، هاتفا في الوجود بصوت الحرية، أحكي لك عن حلم راودني:

كانت ترتدي زيّا أبيض... كما وجهها، كانت...

قبل أن أصف شكلها، أُجسّد أمام ناظريك خلفيات الحلم، كنت بين جيئة وذهاب في خطوات ثقيلة أنهي بتعاقبها بين الغرفة وطاولة المفاوضات، مساء يوم الخميس. أفني السّاعات في خياطة نفس الرّقاع إلى أن مسّ الجوارح اللّغوب، وتبتُ إلى الحجرة حيث إزار أبيض هو أقرب إلى الكفن منه إلى غطاء، استلقيت على السّرير وحاولت حملي على غفوة، كان إسحاق مكانه على الطّاولة، وكان صوت الصّمت القادم من خارج البيت كفيلا بجعل طنين الذّباب مرتفعا، لم يحن أوان النّوم بعد رغم أن السّنة تراودني في استحياء طفيف كعفيف شبق، أغمضت العينين فرأيتها تجلس على السّطح تضع حاسوبها على فخديها النّاعمتين، تكتب تقريرها اليومي، تنظر بين الحين والآخر إلى سقف عموده غصن شجرة لا أعرف أصلها، وعن يمينه، كما عن شماله، تتدلّى قطع خشبية على الحواشي لتضرب موعد لقاء مع قضبان رفيعة من الخيزران، بالدّاخل حيك حصير بلاستيكي على الجانبين ودار حتى لم يفلت من قبضته إلا باب مفتوح ليل نهار. كانت الفتحات بعدد النّجوم، وتسيل ريّاح من الباب لتخرج من حيث تشتهي في جولات متلاحقة لا متناهية. بالوسط، كانت تجلس مائدة على ثلاث سيقان خشبية صنعها نجّار. "رزان"، هذا هو اسمها، عيناها أمل حالم، وتحريكها أناملها لتُحيل الأزرار إلى كلمات، مرور "فانسون فان غوخ" على قماش أبيض فصل الرّبيع، كانت تمضي أغلب وقتها في هذه الخيمة فوق السّطح حيث يطيب لها المقام، ويسمح لها علو البيت بمراقبة المدينة الممتدّة مدّ البصر، تطرق نحو الأفق لينطلق بصرها مع الطّريق المعبّد نحو الوادي الذي جفّ من زمن كانت صغيرة بضفيرتين وملابس العيد، لم يعد يتجلّى من ذلك الزّمن إلا طيف يزور في الشّتاء، لتمنّي النّفس بغيث وافر في القابل. تلطّخت بالطّين في ذلك اليوم الماطر، وحمل السّيل هموم القرية ليلقيها في الوادي الذي يسير إلى منتهى الأرض، حملها أبوها على كتفيه وأشار نحو مصب النّهر حيث أشجار تتكاثف عند الغروب وهو يقول في صوت واعظ:

* من هناك يأتي الخطر يا "رزان".

لم تكن تعرف حينها الفرق بين هناك وهنا، كانت كلّها في قاموسها البريء أسماء للإشارة لا تختلف حتى في الإعراب، أما كلمة خطر، فلم تكن بلغت من العمر ما تدرك به أن تلك الأحرف الثّلاثة قرناءُ سوء إن اجتمعت. أمّا اليوم...فقد جاوزت العشرين وأدركت الفرق بين أسماء الإشارة، لتعيش مع الخطر. مات والدها... قتله الخطر... قتله هناك... هناك بعيدا حيث كان مصبّ النّهر، وحيث كانت تنمو أشجار كثيفة ليلا. أما اليوم، فلم يعد بها استحياء، وصارت تنمو ليل نهار أمام أنظار الشّرطة السّرية التي تجاوز الغابة لتسّجل مخالفة القيادة بسرعة مفرطة على سائق درّاجة عادية كان يرعى الغنم عند الجبل.

كانت الغابة موحشة، مهيبة، مخيفة إلى حدّ بعيد، وكان "الغول" ساكنها الوحيد. كان برؤوس شتّى. يلتهم الصّبيان والعجائز. ويمضغ بأضراس طويلة مدّ البصر أشاوس الرّجال الجالسين على كراسي خشبية بمقهى "ابن الجيلالي" منتظرين عودة زوجاتهم بالحطب عند المساء.

عاشت القرية آمنة إلى أن استوطنها الغول. أتى من المجهول ليقيم على مشارفها حيث يقتات من الغنم القاصية للرّعاة... وعلى الرّعاة إن عزّت الماشية. ذاق طعم البشر. استعذبه واستحلاه وصار يطلبه كلّ غسق، قلّما تمضي الجمعة دون أن تستقبل "رزان" في المستوصف الحكومي حالة حرجة إن قدّر لها العيش، وإن غير ذاك، كان بطن "الغول" قبرا متنقّلا...

نسيت أن أخبرك عزيز القارئ أن "رزان" ممرضة. عجنتها الخبرة فصارت طبيبة المدينة. كانت الوحيدة. ونذرت نفسها لإحياء الأنفس. كانت تلك أمنية والدها الأخيرة وهو يغرغر، حين قتله "الغول" كما فعل بالمقاومين. كانت الدّماء تسيل من كلّه. كان ساعتها بركة دم ملقاة قرب المصبّ، لم يعد له فم ينطق، أكله "الغول"... لم تعد له أذن تسمع، أكلها "الغول"... ولم تعد له عين ترى، أكلها "الغول"... ولم يعد له قلب ينبض... كلا لم يأكله الغول، وهبه في اللحظات الأخيرة "لرزان" فكانت تعيش بقلبين.

تتوالى الفواجع في المدينة ويهرع المزارعون إلى المساجد للابتهال في المحراب حتى صار الزّحام على مكان الإمام لحدّ جاوز حدّه، ثم ألغيت مع الخوف خطبة الجمعة ليتجمّع المصلّون أمام محل "المصطفى" صاحب الأجهزة "الكهرو المنزلية"، فيكتفي المؤذن بتلفاز ملوّن، ويقنع الخطيب بهوائي من نوع "فور كي" علّه يشاهد المباريات بأعلى جودة. فرضت صلاة الخوف في المنازل عند الغروب. كانت "رزان" ذات القلبين الوحيدة التي تتخلّل طرقات المدينة ليلا تبحث عن مجروح اكتفى من بعض أعضائه "الغول" لتعيد إليه بصيص أمل في حياة بلا ساق... بلا قدم... بلا ذراع أو دونهم جميعا. كان "الغول" يفرض حدّ الحرابة على المتخلّفين ليلا. وكانت "رزان" تنجو. لم تكن تخافه، كان يخاف عدم خوفها، فلا تلتقي به، ويتحاشاها ما استطاع.

عند طرف المدينة، كانت "دادا حليمة" العجوز تخبز رغيف الصّباح، وتوقد عليه في فرن من تراب وحجارة منقورة. تعيش وحدها، كان زوجها كما هم أبناؤها الأربعة وجبات مختلفة المذاق في فم "الغول". بكتهم لسنين ولم يزل سيل دموعها فياضا. لا ينضب ماء عينيها، وتعاود رسم المشاهد المتفرقة، وهي ترى الزّوج وفلذات الأكباد ينتقلون دون كبير مقاومة إلى عدم بين أنياب الوحش. لم تعد ترغب في الحياة بعد الحوادث وتمنّي النّفس كلّ يوم وهي تحطب لإنضاج الخبز أن تصادف "الغول". تتأخّر مرارا في الحقول إلى ما وراء العشاءين علّ سوادها يلتقي بسواد السّفاح. فتمضي الأيّام ويعزّ اللقاء... ولا يكون.

قامت اليوم كما هو ديدنها قبل الفجر. قضت نصيبها من التثاؤب. طردت الكسل إلى الغد. نضت اللّحاف أو ما تسمّيه اللّحاف، كان في حقيقة الأمر قطعا جمعت بينها إبرة وخيوط سميكة من الصّوف وألّفت بين قلوبها حتى صارت تكفي العجوز، وبالرّغم من أنّ الإزار لم يكن مسبلا ولا يجاوز عقبيها المشقوقين -لانتعالها اللاشيء طويلا- إن قامت وهي تحمله لقضاء وطر خاصّة في شهر آذار حيث يبلغ البرد مداه بهذا الرّكن من السّماء الدّنيا، إلا أنّه كان يكفيها وهي تتكوّر على نفسها بعد غياب العشير. يمّمت المطبخ لتسخين ماء الوضوء، ثم صلّت ركعات قبل أن تسمع صوت المؤذن الخائف الذي يقيم الصّلاة من بيته. قضت نفلها وفرضها ورفعت كفّيها تدندن في مناجاة لا تقطعها إلا خيوط شمس الضّحى. ترجو كلّ صباح لقاء الأحبّة. لم تنس بعدُ ملامح "حفصة". لم تغب عن بالها صورة "إكرام" و"سامية"، ولا تزال تمرّر في خيالها يدها على مؤخرة رأس "محمد أمينمينأالا" وتبتسم وهي مغمضة العينين وتقول: ما هذه الكرة خلف رأسك؟ لا يجيب الصّغير الذي لم يبلغ الفطام. لا يُــدرك من كلماتها إلا جرعة حبّ تغرقه وتفيض حتّى تجاوز الصّغيرات. يرسم ابتسامة رضا يطبعها على شفتيه الصّغيرتين كما هو، فتُعدي الأسرة حتى تبرز نواجذ السّتة. تبتهل وتبتهل وتدعو كلّ يوم على نفسها بالتّبور. لم تعد الحياة تستحقّ الحياة وخربت المدينة في عينيها بعد رحيل الخمسة. هجم عليها العمر وأحالها حدباء الظّهر وأنحلَ جنبيها ولم تعد تفي أعشاب عطّار المدينة في تخفيف ألم المفاصل مما زاد العجوز رغبة في الرّحيل. فتحت النّـافذة وأرسلت بصرها نحو الغابة فلم يعد إلا بصورة جارها "الحسين" وهو يعالج باب المنزل يريد الدّخول؟ يريد الخروج؟ لا تدري، ولا يهمّها ولم تجلس لتعلم حتّى، تركته يدير مفتاحه وأدارت رأسها لتعانق خطواتُـها المطبخ.

يُطرقُ البابُ عن قريب ولا تحرّك العجوز ساكنا وكأنّـه لا يعنيها. يُعاد قرعُ الباب من جديد وتعيد العجوز لا مبالاتها ليتقدّم الطّارق في خطوات تطبع بسمة خفيفة على شفتي ربّة البيت:

* هذه أنت "رزان"؟
* أجل هذه "رزان" التي لم تفتحي لها.
* هذا الباب لم يغلق من سنين.
* ألاحظ ذلك، لكن لِمَ تتركينه على مصراعيه؟ ألا تخافين الغول؟
* ما أتركه مفتوحا إلا له.
* آه لو أنّ الرّجال بشجاعتك يا خالة.
* لست شجاعة، أنا راغبة في الموت لا أكثر.
* لا مانع من قتل الموت... ثمّ الموت.

كان هذا الحديث شبه يومي بين العجوز والشّابة. كان روتينا يتكرّر كلّ تنفّس صباح وفي نفس السّاعة تقريبا وكأنّه وصفة طبيب ماهر يلتزم بها مريض حريص على الحياة. تُـخرج "رزان" حقنة من حقيبة بيضاء كوجهها، تفتحها بيدها اليمنى واليسرى مُمسكة يد العجوز المرتعشة، تبدو وجلة من "الأنسولين" وفي خشية من المضادات الحيوية. لا يفزعها "الغول" ولا تهاب الموت، لكن هذه الحقن المستوردة لها من المفعول العجيب على شجاعة العجوز ما يجعل "رزان" متحيّرة.

* لست أدري لم تصرّين على هذه الحقن يا ابنتي.
* هي بعد الله من يبقيك حيّة.
* أنا حيّة، وسامّة كما تعرفين، لكن لا رغبة لي في الحياة ثم...
* كفى أرجوك... لن نعيد الحديث مجدّدا.

تقيس الحرارة وضغط الدّم، وتقوم بعمليات روتينية أتقنتها إلى درجة التّفنّن، تدلك بعض الأطراف والعجوز تنظر كميّتٍ لا تحرّك سوى أنفها الذي يتّسع ويضيق مع الشّهيق والزّفير. تغادر "رزان" دون حديث إلى أن تشرف على الباب لتدير رأسها في نصف التفاتة نحو العجوز المستلقية على جانبها الأيمن قرب مائدة تحجب عن عيني الممرضة شطر العجوز السّفلي.

* لا ترهقي نفسك فجسدك لم يعد يتحّمل... وأغلقي هذا الباب.

تتنفّس العجوز وتقول في صوت لا ترجو أن تسمعه ناصحتها:

* ولِم أغلقه وأنا أنتظر زائرا طال غيابه؟

خرجت العجوز بعد عصر ذلك اليوم لتجلب حطب الغد. قصدت حقل "عبد القادر ابن يامنة " على مرمى حجر من مقبرة "الرّحمة" حيث تدفن أشلاء يعفّ عنها "الغول" حين يدرك التّخمة. نالت بغيتها عن قريب وجلست تسترجع شريط الذّكرى وهي تُمنّي نفسها باللقاء المنتظر. قامت حين أزفت الشّمس من الغروب وحملت حزمة تكفي نارُها غدَها وانطلقت في خطواتها المتثاقلة إلى البيت. بين الأشجار وقصب الخيزران. كانت عينان تبرقان بانعكاس أضواء سيّارات تعبر من الشّارع الرّئيسي نحو المدينة، أو منها صوب المجهولأاا. كان الغول محجوبا وسط الأوراق ويخفيه عن ناظري العجوز ظلام وهموم. بدأ الموت يتربّص بالغافلة، ويبدو أنّ أملها وشيك التّحقّق ولا محالة عن قريب ستجاور زوجها والأولاد في بطن "الغول". سارت ببطء شديد وهو في أثرها على ذات الخطوات مرتقبا لحظة الختام. بقي السّير سجالا. مشيٌ خفيف، وتوقّف أخفّ حين تعدّل العجوز إحكام قبضتها على الحزمة فوق رأسها ثمّ سير من جديد. كانت "رزان" تجد ريح الموت في المدينة، نزلت عن عرشها فوق السّطح. قصدت بيت العجوز. كان مفتوحا كعادته فطرقت ثلاثا قبل أن توقن عدم الإجابة لتدخل وتنادي على ربّة البيت. لم تجدها. كانت على موعد مع الموت قرب المقبرة. سألت بعض الجيرة عنها لتقصد حقل "عبد القادر ابن يامنة ". وصلت متأخرّة. كان الموعد قد انقضى، وكانت العجوز -أو ما تبقّى منها- يسيل دما. عيناها غائرتان ملطّختان دما وترابا، وعلى شفتيها بسمة لم ترها "رزان" سلفا. حاولت إسعاف ما تسنّى فلم تعلم بأيّ عضو تبدأ؟... وما تخيط؟ وأين تخيطه؟ أخذ "الغول" أكثر ممّا ترك، لم يتبقّ للممرّضة إلا حزن عميق وعظام مكسورة ضمّتها إلى قطع لحم جمعتها من فوق التّراب لتلفّها في خرقة وتغيّبها إلى الأبد تحت التّراب في مقبرة "الرّحمة" راجية لها الرّحمة. جلست على قبرها ساعة وهي تعيد حديث الصّباح، تذكّرت قياسها ضغط الدّم وضغطها على يد العجوز. تمثّلت صورتها مُستلقية على جنبها الأيمن، ورأت جيبي أنفها في انبساطهما وانقباضهما المرهون بزمن ما يحيد عنه. بكت ساعة على الشّـفـــيـر تُـعيد الحياة إلى أفكارها وتُحيي ذكرى زياراتها اليومية للعجوز. قطعت شريط الماضي واستطلعت المستقبل لتنظر إلى الغد. أبصرت الصّباح، وتساءلت أين تذهب بعد الفجر؟ وقد كان مرورها بالعجوز روتينا يوميا يصعب نسيانه. عادت أدراجها والبيوت مقفلة، والرّجال مستلقون بجانب النّساء غير مبالين بمن زاره طيف الموت. أدركت "رزان" بكوخها فوق السّطح وأخرجت عدّتها. صفّت القوارير فوق بعضها، وأكياس القطن بجوار الحقن، ومضت ترتّب الأدوية إلى أن أدركت بغيتها ثم قالت في استفهام من لا يريد جوابا:

* لِم تصلح هذه القوارير إن كانت عاجزة عن إنقاذ عجوز؟

بقي سؤالها يتردّد بالكوخ. تعيد رسمه على شفتيها همسا فيُسمع ذويّه بالأفق حتى أدرك شهريار الصّباح وسكتت شهرزاد عن الكلام المباح.

كان الموت اعتياديا كالتّنفس، ومع نسمات الفجر، بدأ النّسيان يهجم على الذّكرى حتى خلّفها خبرا. نسيت "رزان" قسمات العجوز. ولم تعد الأشلاء التي جمعتها في خرقة بالأمس لتدفنها، تطرق خيالها. انطلقت مع رحلة يوم جديد تبحث في المدينة عن إحياء الحياة. غاصت مع صناديق أدويتها الكثيرة، ونزلت إلى المخزن تبحث عن مسكّنات الألم التي نفذت من حقيبتها المحمولة، بقيت تعالج قواريرها بعناية في غير عجل إلى أن سمعت صراخا خلف الباب:

* "رزان"، "رزان".

أسرعت إلى الخارج تستطلع الخبر لتجد الموت يسابقها إلى "العبدي" ذلك الرّجل الوقور قليل الكلام. كان جريحا وملطّخا بالدّماء، لم تكن بقدر ما سال من العجوز بالأمس لكنّ اندلاقها من جهة القلب يجعل وجه الشّيخ أصفرا، كلّ ما خشيته "رزان" عند النّظرة الأولى هو أن تكون العضّة نافذة إلى القلب، أمّا غير ذاك فاحتمال النّجاة معه كبير.

* ما الذي جرى يا "فاطنة"؟

لم تنطق زوجة "العبدي". بقيت تحول بين الدّم وخروجه بأكفّها، ثم قالت حين توهّمت أن جوابها قد يساعد الممرضة وينقذ المريض:

* وماذا يجري في هذه المدينة غير "غول" يجرّب أنيابه في أصحاب الأرض؟
* يبدو فعلا أنّه كان يجرّب أنيابه، فلم يأخذ لحما، كان ممتلئا لحسن حظ زوجك، سبقته إلى بطن "الغول" تلك العجوز المسكينة.
* من تقصدين؟
* "دادا حليمة".
* هل تقصدين أن "الغول"...
* أجل، ليلة أمس.

كان حديثهما يدور، وكانت يدا "رزان" أسرع دورانا لمعالجة الجرح البالغ. تُكنّ من الحبّ الكبير لهذه الأسرة، ولهذا الزّوج الودود الذي يفيض على الصّغار بمحبّة وصبر على الأذى ما يحيّر العقول. منزلهما له بابان، تدخل من الشّمال وتخرج من الجنوب إن شئت. كان خير ملعب للمطاردة في نظر الصّبية، وطالما اختبأت الممرضة وهي دون العاشرة بهذه الغرفة أو تلك لتخرج من غير الباب الذي دخلت منه، حتى أنّها ما تزال تسترجع وهي تمسح الدّم عن الصّدر، ذلك اليوم وهم يلعبون "الغُمّيضة" حين أسرعت للتّواري بغرفة نوم "العبدي" الذي كان جالسا في الزّاوية البعيدة رافعا رأسه إلى الأعلى. كانت الغرفة شبه مُظلمة وكان ضيق بؤبؤ "رزان" بفعل تعرضها لأشعّة شمس النّهار لا يسمح بمرور كمّيات ضوء تفي برؤية ربّ البيت. اختفت وراء الباب على بعد المترين تقريبا من "العبدي" الذي بقي وكأنّه صنم، ثم بعد حين أطلّ أحد الصّبية برأسه يطلب "رزان" وقال في صوت من يخاطب نفسه:

* أعتقد أنّها دخلت هنا.

أغمضت "رزان" عينيها كي لا يراها طالبها، فقال "العبدي" دون أن يغيّر من هيئته شيئا:

* إنّها ليست هنا. لا أحد يوجد في هذا البيت، وحتّى أنا لست هنا، لأني إن كنت موجودا لن تلعب الصّبية في غرفة نومي.

أسرعت "رزان" بعد سماع الصّوت نحو الباب. لم تعد تبالي بذاك الصّبي الذي ركض قبلها قاصدا الباب الجنوبي، تعالت قهقهاتهما حين جاوزاه إلى الخارج حيث تجمّع صبية اكتشف بعضهم بعضا وهم يَصِلون إلى الجولة الأخيرة من لعبتهم.

كان الجرح بالغا، لم تكن للوحش رغبة في الافتراس، لكنّ حدّة الأنياب وشدّة العضّة بلغت القلب، أصابت "العبدي" في مقتل وأدركت الممرضة أن لحظات المصاب، الذي لا يزال صامتا رغم الألم، معدودة. قرأت "فاطنة" الأمّـيّة علامات الموت على وجه زوجها، ورأت العجز مرسوما على محيّا "رزان". أيقنت بالفراق فسال وادي عيونها بالدّموع، هذه آخر لحظات لها بهذا الجسد. آخر لقاء بينها وبين هذه الرّوح، هنا يتوقّف قطار جمعهما من خمسين سنة في مقطورة الزّواج. هذه هي المحطّة حيث يكمل أحد المسافرين دون الآخر، ولا سبيل للعودة أو اللّحاق، هنا على مشارف الموت ينتهي كل شيء، هنا يهدّم العشّ لبنة لبنة، هنا يقوّض بنيان البيت، وبهذا المكان يغلق الباب الجنوبي إلى الأبد... ويوصد الباب الشّمالي، وتلقى مفتاحيهما في بحر الموت.

جلست "رزان" وقت الغروب تكتب يومياتها، دوّنت اسم "دادا حليمة" في خانة الأمس، ورقمت اسم "العبدي" في موتى اليوم، ثم ختمت بالفاصلة. لم تضع نقطة أو ترجع إلى السّطر، فهي تدرك أنّ اسما آخر سيدوّن عن قريب قرب الشّـيخ الوقور. حين انتهت تفقّدت علبة رسائلها الإلكترونية. جلست تنتظر جوابا لم يصل من سنين. تناشد المجتمع الدّولي من ألف سنة، وترسل البرقيات إلى الأمم المتّحدة... إلى مجلس الأمن... إلى أمريكا... إلى روسيا إلى كل دول أوربا وإلى كلّ منظّمة حكومية وغير حكومية على وجه الكوكب. تُغيّر صيغ الكتابة، وتُبدّل العناوين، لكنّها لا تحصل في كلّ ردّ إلا على نفس الجواب: خيم للاجئين وأدوية... وأكياس دقيق.

تتساءل مرارا لم لا يتحرّك المجتمع الدّولي؟ لكنّ الحادثتين الأخيرتين كان لهما الأثر البالغ على تفكير "رزان"، وهجمت عليها أسئلة كثيرة أشعرتها بالعجز: لِم ننتظر المجتمع الدّولي؟ لم لا نتحرّك نحن؟ هو "غول" واحد وقويّ لا شكّ، وله أسلحته لكننا في النّهاية قرية بكاملها، لو طلبناه حتى الموت لما سنحت فرصة لآخرنا لرؤية جثته. يفوقنا قوّة ونفوقه عددا، لِم لا نجتمع ونطارده إلى أن يبلغ الأمر مداه؟ فإمّا نقتله أو ننفيه بعيدا عن القرية، لا نحتاج في الواقع كثير أسلحة، عددنا وإيماننا بقضيّتنا سلاحنا الأكبر. بقيت الأفكار تطرد النّوم من جفون "رزان" إلى أن تبيّن الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، لتستيقظ على صراخ جديد. حادثة ثالثة وضحية أخرى ستجد لها مكانا في دفتر يوميات الممرّضة.

نظرت "رزان"، لتجد امرأة حاملا يسيل الدّم من بطنها وهي تصرخ:

* ولدي، ولدي.

كان الموت يفنيها ولم تكن تبالي لغير حال جنينها الذي تشكّ في أن العضّة نفذت إليه، أسرعت "رزان"، إلى مستودع الأدوية نظرت إلى حقيبتها، ورمقت بطرفيها القوارير والحقن ومسكّنات الألم، مرّرت يدها فوق تلك الصّفوف من الأقراص المهدئة، لكنّها لم تلمسها، جاوزتها لتمسك بإحكام سيف جدّها، ربطته على خصرها وأسرعت غير مبالية بصراخ الحامل التي تجمّع حولها أهل الدّور المجاورة، ركضت وركضت بسرعة نحو مصب النّهر، جاوزت الوادي لتجد "الغول" في عرينه وسط الغابة، استدارت حوله ورفعت السّيف وهي تقول:

* باسم الله.

هوت على الوحش ولم تفتح كريمتيها إلا بعدما أدركت أن ضربتها ارتطمت بالأرض، قطعته نصفين، فأصابه الشّلل، مزّقته على مهل حينها، ولم تزل تقتصّ منه كما فعل مع العجوز، ثم أسرعت نحو الرأس الذي بدأ يتدحرج هاربا نحو الوادي، أدركته عند الرّبوة وقطعت أنيابه ثم رفعت سيفها لتنهي رأس الحيّة، رأت طائرة أمريكية تحطّ قريبا، نزلت فرقة مشاة وأخذت السّيف من يد "رزان" بعدما اتهمتها بالإرهاب، وحملت الرأس إلى البيت الأبيض.

عادت الممرّضة إلى القرية، وجدت الحامل قد شفيت من عضتها، ووجدت العجوز تخبز رغيف الصّباح، ووجدت "العبدي" يسير في خطوات وقورة إلى المسجد، وجدت القرية آمنة مطمئنة يأتيها عيشها رغدا من كل مكان، سارت خلف الدّور لتعترض طريقها الشّرطة السّرية، تمّ اقتيادها للاستجواب، وبعد المحاكمة خرج القاضي بقرار الإدانة، وحكم بحبسها مئة سنة بعيدا عن المسجد الأقصى...